المقالة الثامنة[1]
التفاعل والعطاء في جهة الولاء

الحمدلله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وبعد:

فإن سنّة تعالىٰ في هذه الحياة تفيد أنّ النمو والزيادة في الوزن والحجم لا يكون إلا عبر عملية التفاعل والحركة في الأشياء والأحياء فالخلية لا تقوم بدورها وهو التعويض عن الخلايا المستهلكة في الجسم الحي والذرة لا تقوم بدورها وهو الشد والجذب داخل الجسم الذي هي جزء منه لتتم بهذه العملية وتلك دورة الحياة في النبات والحيوان والإنسان، ولتتم عملية التسخير في الجمادات علىٰ اختلاف أشكالها وألوانها وأدوارها، ومتىٰ انتفىٰ التفاعل أو توقفت الحركة انتهىٰ دور هذه الخلية أو تلك الذرة في عالمها التي هي جزء منه ﴿**فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**﴾[2].

---

(١) شهر شعبان سنة ١٤١٤ هـ.

(٢) سورة فاطر: آية ٤٣.

وفي الإنسان بصفته الجماعية مثل هذا المعنىٰ أيضاً، ذلك لأن الإنسان الذي هو اجتماعي بطبعه فلا يقوىٰ علىٰ تحقيق مصالحه الحياتية بمعزل عن سائر الناس يتحول بمقتضىٰ حياته الجماعية إلى خلية في الجسد الجماعي العام ليقوم بدور الخلية في الجسد الفردي الخاص حيث يتفاعل مع المجتمع من خلال مزاولته لمهنته التي يتعاطاها، لنيل الكسب وتوفير النفقة لنفسه ولعياله حيث يكفّ نفسه بها عن التطلع إلىٰ ما في يد الغير من مال أو متاع، ويتحقّق بعمله ذاك للمجتمع نفع كثير وخير عميم. ومتىٰ توقف عن مزاولة مهنته فإنه يتحول بصورة تلقائية تحت ضغط الحاجة الملحة لتلبية أسباب الحياة من طعام وشراب ولباس ومسكن وشهوة إلىٰ عنصر تخريب وتدمير في المجتمع لأنه سيعمل عندئذٍ علىٰ تحصيل المال بالطرق غير المشروعة من سرقة وغصب ونهب وسلب أو لأنه سيعمد إلىٰ الاستسلام للعوز والمرض والفاقة حتىٰ يأتي ذلك علىٰ حياته فيقتله ويفقد المجتمع بذلك عنصراً من عناصر قوته ونمائه وعطائه.

ومثل ذلك يقال في أجهزة البدن وأجزائه، فإن لكل جهاز منها دوره فيه كما لكل جزء في البدن مهمته في جلب النفع للبدن أو دفع الضرّ عنه، ولا تتحقّق مصلحة البدن إلا بأداء كل جهاز وكل جزء فيه لمهمته لأن مصلحة

أي جزء فيه أو جهاز هي مصلحة لجميع البدن.

والمجتمع أشبه ما يكون بالجسد الإنساني حيث تقوم كل مؤسسة فيه بدورها في بناء كيانه وتطوير قدراته كما يقوم الفرد فيها بتسيير هذه المؤسسة وتقويتها، وللمجتمع رئيس كما للبدن رأس يحتاج إلىٰ الارتباط الكامل مع البدن ليكون التفاعل وتدب الحياة فيها وليقوم الرأس بعد ذلك بتدبير شؤون البدن بما يجلب له النفع ويدفع عنه الضرّ وبمقدار قوّة الصلة ومتانة الارتباط بين جميع أجزاء وأجهزة وخلايا البدن بالجهاز العصبي في رأس البدن وخضوعها له يتمكن الرأس من تدبير شؤون البدن.

ومن هنا شبَّه النبي ﷺ المجتمع المسلم بالجسد الواحد في تفاعله وعطائه فقال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ)[1].

وفي الحديث أيضاً: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا وشبّك بين أصابعه)[2].

---

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ ص ٢٣٢ كتاب البر والصلة، باب المؤمنون كرجل واحد، رقم الحديث ١٧٧٤.

(٢) رواه مسلم، انظر نفس المصدر رقم الحديث ١٧٧٣.

فيجب أن يكون هنا ارتباط من أفراد المجتمع ومؤسساته بالمرجع الذي يجب أن يتفاعل مع المجتمع بتبنّي قضاياه العامة ويطالب بتلبية حاجاته الهامة، ليكون العطاء المتبادل والنماء المستمر. والحمد لله ربّ العالمين.

obeikandl.com